(٦٠) أبو علي الدقاق[١]

ذكر الشيخ الأستاذ أبي علي الدقَّاق رحمه الله:

كان رحمه الله شيخَ عهده، ومُرشدَ زمانه، كاملاً في علم الطريقة والحقيقة، تُرجمانًا للحقِّ، وفي الحديث والتفسير والوعظ والتذكير ذا شأن عظيم، وفي الرياضة والكرامة آيةً، وفي اللطائف والحقائق والمقام والحال مُتعيِّنًا.

وكان مريدًا للنصراباذي، وأدرك كثيرًا من المشايخ الكبار، وخدمهم حتى قال بعضُ المشايخ: لكلِّ زمانٍ نائحٌ، ونائحُ[٢] زماننا أبو علي الدقاق، وذلك لكثرةِ ما فيه من الحُزن والشوق والذوق.

وما وضع جنبَهُ على الأرض، وكان في مرو حين وردت عليه الواقعة.

نقل أنَّ واحدًا من المشايخ رأى إبليسَ عليه اللعنة يحثو الترابَ على رأسه، قال: يا لعين، هذا لماذا؟ قال: كانت خلعةٌ، كنتُ أنتظرها سبع مئة ألفَ سنة، اليومَ أُعطيتْ لرجلٍ بياع الدقيق[٣] أعني الشيخ أبا علي الدقاق.

نقل عن الشيخ أبي عليٍّ الفارمذي رحمه الله أنه مع كماله كان يقول:

---

(١) كشف المحجوب ٣٧٧، تبيين كذب المفتري ٢٢٦، الكامل في التاريخ ٩/ ٣٢٦، العبر ٣/ ٩٥، تذكرة الحفاظ ٣/ ١٠٦٤، مرآة الجنان ٣/ ١٧، طبقات السبكي ٤/ ٣٢٩، الوافي بالوفيات ١٢/ ١٦٥ طبقات الإسنوي ١/ ٥٢٣، البداية والنهاية ١٢/ ١٣، النجوم الزاهرة ٤/ ٢٥٦، طبقات ابن قاضي شهبة ١/ ١٦٩، نفحات الأنس ٤١٨، الكواكب الدرية ٢/ ١٧٩، شذرات الذهب ٣/ ١٨٠، كشف الظنون ١٤٣٤، معجم المؤلفين ٣/ ٢٦١.

واسمه في مصادر ترجمته الحسن بن علي. وفي كشف المحجوب: حسن بن محمد بن علي.

(٢) في هامش (أ): إشارة إلى نسخة ثانية تقول: لكل زمانٍ فاتح، وفاتح زماننا.

(٣) في (ب): لرجل بتاع الدقيق.

لا حجّةَ لي غدًا يوم القيامة إلاّ أنّ سَمِيَّ لأبي[١] علي الدقاق.

وقال الأستاذ أبو عليٍّ الدقاق رحمه الله: إذا لم يكن شجرٌ مرنًا لا يُورق ولا ينتفع.

ثم قال: أنا أخذتُ هذا الطريق عن النصراباذي، وهو أخذَ عن الشبليِّ، وهو عن الجُنيد، وهو عن السريِّ، وهو عن المعروف، وهو عن التابعين رضوان الله عليهم أجمعين.

قال: ما دخلت على أبي القاسم النصراباذي إلاّ اغتسلتُ أولاً حرمةً له.

نقل أن الأستاذ أبا علي رحمه الله غابَ زمانًا طويلاً، وسافر كثيرًا إلى الحجِّ وغيره، وارتاضَ رياضاتٍ كثيرة، ثم دخلَ مدينة الرَّيِّ عريانًا، ليس عليه إلاّ ما يَسترُ[٢] عورتَه، ونزل بخانقاه عبد الله بن عمر رضي الله عنه، فعرفَهُ شخصٌ، وقال: هذا هو الأستاذ أبو علي الدقاق، فترحَّمَ عليه الخلقُ لما رأوا من حاله، والتأموا عليه، والتمسوا أن يشتغلَ بالدرس والمناظرة، فلم يقبل، ثم طلبوا منه كلماتٍ في الوعظ، ونصبوا منبرًا، فلمّا صعدَ المنبر أشارَ إلى جانب اليمن وقال: الله أكبر. ثم إلى المقابلة، وقال: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢]. ثم إلى اليسار وقال: ﴿وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [طه: ٧٣] فصاحت الناس، وبكوا وعيّطوا واستغاثوا حتى مات في أثناء كلامه خلقٌ، والناسُ مشغولون بالبكاء، إذ هو نزلَ وغابَ، وما رآه أحدٌ منهم، ثم طلبوه، فما وجدوه، فراح إلى مرو، ثم رجع إلى نيسابور.

قال شخصٌ من الفقراء: دخلتُ على الأستاذ يومًا، ونيّتي أن أسألَهُ عن التوكّلِ، وكان على رأسه عمامة طبرية، فمالَ قلبي إليها، قلت: يا أيُّها الأستاذ، ما التوكّل؟ قال: هو أن لا تطمع في عمائم الناس. ورفع العمامة عن رأسِهِ ورماها إليَّ.

---

(١) في (أ): إلا أني سُمّي لأبي.

(٢) في (ب): ليس عليه ما يسر سوى ما يستر.

قال الأستاذ: مرضتُ وأنا بمرو، وأشتهي أن أكون حينئذٍ بنيسابور، فأخذني نعاسٌ رأيت قائلاً يقول: أنت لا تقدرُ على الخروج من هذه المدينة. قلت: لِمَ؟ قال: لأنَّ جماعةً من الجنِّ قد أعجبهم كلماتُك، وهم يحضرون كلَّ يومٍ مجلسَكَ، فاللهُ تعالى أقامَك في هذه المدينة لأجلهم.

نقل أنه رحمه الله كان يومًا على المنبر ذمَّ الإنسانَ ذمًّا عظيمًا، وقال: إنه حسودٌ، مُعجب، متكبّرٌ.. وما شاكله. فقال الرجل: يا أستاذ، الإنسانُ مع جميع هذه الخصال الذَّميمةِ، له قابليةُ المحبَّةِ أم لا؟ قال: أما سمعتَ قولَ الله: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤].

نقل أنه يومًا كان يقول على المنبر كثيرًا في أثناء الكلام: (الله، الله)، فقال القائل: ما اللهُ يا أستاذ؟ قال: لا أدري. فقال القائل: لِمَ تقول ما لا تدري؟ قال الأستاذ: إذا لم أقل (الله) فما أقول؟.

أقول: إشارة إلى كُنْهِ معرفة الله أنه لا يحصلُ لأحدٍ.

وإن طالتِ الأيام، واتَّصلَ العمر(١)

ومع هذا ينبغي أن لا يفترَ الطالبُ في طلبه، ولا الذاكرُ عن ذكره، واللهُ تعالى مطلوبٌ على خلاف سائر المطالب، فإنَّ من عجز في طلب شيءٍ عن إدراكه يتركه لا محالة، وأما في طلبِ الله تعالى فكلّما يعجزُ الطالبُ عن الإدراك، يشتدُّ طلبهُ، ويكثرُ طربُهُ. والله أعلم.

نقل أنّه قامَ فقيرٌ في مجلسه، وقال: أنا رجلٌ فقير، ومذ ثلاثة أيام ما طعمتُ شيئًا. وكان جماعةٌ من المشايخ حاضرين، فصاح عليه الأستاذ أبو علي، وقال: مه يا كذّاب، فإنَّ الفقرَ سرٌّ من أسرار الله تعالى، والسلطانُ لا يضعُ سرَّه فيمن يُفشيه ويذيعه؛ بل عند من يقول: هل من مزيد؟.

---

(١) عجز بيت لمحمود الوراق، الديوان ١٢١، وقبله:

إذا كان شكري نعمة الله نعمة ... عليَّ له في مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر إلا بفضله ... وإن طالت الأيام واتصل العمر

نقل أن فُقَّاعيًّا[١] كان يدخل على الشيخ حين الأكل، ومعه فقاعٌ، يجلسُ على مائدتهم ويسقيهم الفقاع، ويردُّ ما يفضلُ منهم، ثم إنَّ الشيخ رحمه الله رأى ليلةً في المنام أنَّ جميعَ المشايخ وأصحاب الكرامات في موضعٍ عال، وهو لا يقدرُ على الوصولِ إليهم، فبينا هو في هذه الحالة، إذ جاء إليه الرجلُ الفُقَّاعيُّ، وقال للشيخ: مدَّ إليَّ يدَكَ. وجرَّه إليهم، وقال: يا شيخ، الأسدُ يصيرُ هنا ثعلبًا. ثم في اليوم الثاني كان الشيخ على المنبر، فدخل الفُقَّاعيُّ، فقال الشيخ رحمه الله: طرّقوا له[٢]؛ فإنّه لو لم يكن البارحة لكنتُ من المُخلَّفين. فقال الفُقَّاعي: يا شيخ، أكونُ كلَّ ليلةٍ في المكان الذي رأيتَهُ، ولا أذكرُهُ، أنت رأيتَ مرّةً واحدةً، هتكتني وأفشيتَ[٣] حالي.

نقل أن رجلاً جاء إلى أبي عليٍّ، وقال: يا شيخ، قطعتُ مسافةً بعيدةً حتى وصلتُ إليك، ليكنْ نظرُكَ عليَّ أكثرَ ممّا يكونُ على غيري. قال الشيخ: هذا المقصود لا يحصلُ بقطعِ المسافة القريبة والبعيدة، أخطُ خطوةً على النفس تصلْ إلى مقصودِكَ.

نقل أنه جاء إليه رجلٌ، واشتكى من الشيطان، فقال الشيخ: اقطعْ شجرةَ الهوى من أرض قلبك، لئلاّ يجتمعَ عليها عصافيرُ وساوس الشيطان لتستريح، وإلاّ مهما كانتِ الشجرةُ بحالها، فكلَّما تطردُ العصافير تهربُ ثم ترجع، ولكن إذا قطعتَ الشجرةَ من أصلها تفرّقَتِ العصافير واسترحتَ.

نقل أن تاجراً اسمه خُشكو كان من جيران الشيخ، فعرضتْ له عارضةٌ، فعاده الشيخ، وسأل عن علّته، قال: نهضتُ بالليل، وقصدتُ أن أتوضَّأَ لصلاةِ الليل، فانفتلَ ظهري، فحصل وجعٌ أليمٌ، وجاء بعده حُمّى، فقال الشيخ: أنت رجلٌ تاجرٌ، وعليك أن تدفعَ عنك حيفَ الدُّنيا، فمن أين أنت وصلاة الليل؟! أما علمتَ أنَّ منَ اشتغلَ بما لا يعنيه، وترك ما لا بدَّ به يؤول أمرُه إلى هذا. ثم

---

(١) تقدم شرع الفقاع صفحة (٥٤١) الحاشية (١).

(٢) قوله: (طرقوا له) ليست في (ب).

(٣) في (ب): وأفشلت حالي.

قال: مثلاً، من كان له صداعٌ، فهل ينفعه الطلاءُ على الرجل؟ ومن تنجَّسَتْ يدُه ينفعه غسلُ الأردان؟!

أقول: حاصلُ هذا الكلام أنَّ الصلاة بالليل، وإن كانت عبادةً ذاتَ فضيلة؛ ولكن صرف المال في الزكاة واجبٌ على صاحب المال، وكذلك صرفه في سائر ما يجب عليه كالإنفاق على من عليه نفقتُهُ له، والدَّين والكَفّارة والنذر، فتركُ الواجب، والاشتغالُ بالنافلة ليس إلاّ من الضَّعفِ في الدين، وأيضًا صرفُ المالِ في التطوّعات لله تعالى كإطعامِ الجياعِ، وسترِ العرايا وغيرهما أولى لصاحب المال من الاكتفاء بالعبادات البَدنية كالصوم والصلاة وغيرِهما، نعم إذا جمعَ صاحبُ المال بين العبادتين ـ أي إنفاق المال والعبادات البدنية ـ فذلك ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۚ يَهْدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [النور: ٣٥]. **والله أعلم.**

نقل أن رجلاً من المُريدين عطس في مجلس الشيخ، وحمدَ الله تعالى، فقال الشيخ رحمه الله: يَرحمُك ربُّك. فالصوفي في الحال أخذَ متاعه، وقام ليخرج، فاستفسرَ عنه بعضُ الحاضرين، قال: لمَّا جرى على لسانِ الشيخ ذكرُ الرَّحمةِ عليَّ حصلَ مقصودي، فلم يتوقّفْ، وخرجَ.

نقل أنَّ أبا الحسن البُرْنَوْذي[1] رحمه الله وكان من عُقلاء المجانين دخلَ يومًا على أبي عليٍّ، وعليه فروةٌ عتيقةٌ مقطَّعةٌ، وعلى الشيخ مرقّعةٌ جديدة، فقال له الشيخ على وجهِ المُطايبة: يا أبا الحسن، بكم اشتريتَ الفروة؟ فشهق أبو الحسن، وقال: يا أبا علي، لا تُظهر الرعونةَ، فإنّي اشتريتها بالدنيا وما فيها، ولا أَبيعُها بالجنة ونعيمها. فطأطأ الشيخ أبو علي رحمه الله رأسه، وبكى كثيرًا.

ونقل أنّه قال: عهدتُ على نفسي أن لا أقولَ مع فقيرٍ كلامًا وعلى وجهِ المُطايبة أبدًا[2].

---

(١) البرنوذي: نسبة إلى بُرْنَوذ قرية من قرى نيسابور. اللباب.

(٢) في (ب): المطايبة مثلاً أبدًا.

أقول: كأنَّ أبا الحسن رحمه الله أشارَ إلى مقامِ الفقر المعنوي الدالِّ عليه الفقرُ الصوري، وأراد: أنيّ تركتُ الدنيا وما فيها، ورضيتُ بهذا الفقر الذي افتخرَ به سيِّدُ الكونين، ولا أُقايضُهُ بنعيمِ الجنة أيضًا، والإنصاف أنَّ هذا مرتبةٌ عالية، ومنقبةٌ سامية. والله أعلم.

نقل عن الأستاذ أبي علي رحمه الله أنه قال: دخلَ في الخانقاه فقيرٌ وقال: أطلبُ منكم زاويةً لأموت فيها. فعيَّنا له موضعًا خاليًا، فدخل فيه، ورمى نظرَهُ إلى جانبٍ منه، ويقول: الله، الله. وأنا من الخارج استمعُ، فأحسَّ بنورِ الولاية، وقال: يا أبا علي، لا تشوّشْ عليَّ حالي. فتركتُهُ وذهبت، ثم رجعتُ، وهو في تلك الحالة، إلى أن سلّم روحَه، وتوفّي إلى رحمة الله تعالى، فبعثنا وراءَ الغاسل، وإلى السوق للكفن، ثم دخلنا عليه، فلم نجدْه في البيت، فتحيّرنا، وقلنا: يا ربَّ العالمين، أريتنا هذا الشخصَ في حياته، وغيَّبته عنّا بعد موته. فصاحَ هاتفٌ، وقال: ملكُ الموت طلبَهُ ولم يجدْه، والحورُ في القصورِ طلبته فما وجدَتْه. قلتُ: إلهي، فأين هو؟ قال الهاتف: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٥].

قال الأستاذ رحمه الله: رأيتُ في مسجدٍ خرابٍ شيخًا يبكي الدم، ولطخ أرضَ المسجد بالدم، قلت: يا شيخ، رفقًا معك. قال: فنيتْ طاقتي. قلتُ: في أيِّ شيء؟ قال: في تمنّي لقاءِ الله تعالى، ثم قال ذلك الشيخ: سيِّدٌ غضبَ على عبده، وأراد أن يعاقبَهُ، فاستشفعَ العبدُ بشفيعٍ مقبولٍ عند سيِّدِهِ، فشفَّعَهُ السيدُ فيه، وعفا عنه، والعبدُ بعدُ يبكي، فقال الشفيع: لِمَ تبكي، والحالُ أنَّ سيدَك قد عفا عنك؟ قال السيد: بكاؤه على أنّه يطلب رضائي عنه، وليس إلى ذلك سبيل، فلذلك يبكي ويبكي.

نقل أنَّ شابًا دخل من باب الخانقاه، فقال: إذا قصدَ إنسانٌ معصيةً، أو خطرَ بباله قصدُها، فهل ينتقضُ وضوؤه أم لا؟ فبكى الشيخ، وقال للأصحاب: أجيبوا عن سؤال هذا الشاب. قال زين الإسلام: سنحَ لي أن أقولَ: قصدُ

المعصية لا يَنقضُ الطهارةَ الظاهرة؛ ولكنْ ينقضُ الطهارة الباطنة. فاستحييتُ من الشيخ، ثم قال الشيخ: هكذا.

نقل أنه قال: هاجت عيني، وأوجعتني حتى اضطربتُ من الوجع[١]، وما نعستُ ولا استرحت أيامًا، فبينما أنا كذلك إذ أخذني نعاسٌ، فرأيت في المنامِ قائلاً يقول لي: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦] فانتبهتُ، وما وجدتُ للوجعِ والألم أثرًا بقدرة الله تعالى.

نقل أنه قال: ضللتُ الطريقَ بالبادية خمسة عشر يومًا، ثم اهتديتُ إلى الطريق، فاستقبلني شخصٌ من الأجناد، وسقاني شربةً من الماء، فإنّي بعد ثلاثين سنة أجدُ في نفسي ضررَها[٢].

نقل أنه كان يأمرُ في الشتاء من كان من التلامذة قويًّا بالاغتسال في الماء البارد عند الحاجة، ومن كان ضعيفًا يرفُقُ به، ويقول: ليعملْ كلٌّ على قدر وسعه.

وقال: من يكون سُوقيًّا لا غناء له من حملٍ من الأشنان أو أكثر ليبيع ويستريح، وأمّا من احتاجَ إلى الأشنان ليغسلَ ثيابَهُ فيكفيه أوقيةٌ منه أو أقلُّ ـ يعني لا بدّ من العلم قدرَ ما يُحتاجُ إليه للعمل، والفضلُ لا ينفع، إذِ المقصودُ من العلم إنما هو العمل والتواضع.

كما نقل أنه دُعيَ إلى دعوةٍ في مدينة مرو، فسمع في الطريق صوتَ عجوزةٍ تئنُّ وتقول: إلهي، تركتني جوعى، وأحلتَ عليَّ أطفالاً جياعًا، وليس لي شيءٌ أَطعَمُهُ وأُطعِمُهُ، فيليقُ بكرمك أن تعمل بي هكذا؟ فعبر الشيخ، ودخلَ بيتَ الدعوة، وأمرَ صاحبَ الدعوة أن يجعلَ مائدةً يكونُ عليها أنواعُ الطعام والحلاوى وغيرُه، ففرح صاحبُ الدعوة، وظنَّ أنَّه يُريد أن يبعثَها إلى بيته، ولم يكن له بيتٌ ولا عيال، فهيَّأها في الحال، وأحضرَ عنده، فحملَها الشيخُ

(١) في (ب): هاجت عيني واضطربت وأوجعتني من الوجع.
(٢) في (أ): أجد في نفسي ضربَها.

أبو علي رحمه الله وذهبَ بها إلى بيت العجوزة، فما أحسن ذلك التواضع!.

وله كلمات عالية منها قال[١]: كنْ كأنَّكَ ميتٌ مضى عليه ثلاثون يومًا.

أقول: يعني ينبغي أن يكون العبدُ بين يدي قضاء الله تعالى وقدره وإرادتُهُ كالميت الذي مضى عليه أيامٌ، إذ لا حراكَ له، ولا اعتراضَ، ولا تدبير له في أموره، وإلى هذا المعنى يشير صاحب الشريعة ﷺ: «موتوا قبل أن تموتوا»[٢] وقال ﷺ لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «كن في الدنيا كأنك غريب أو كعابر سبيل، وعُدَّ نفسك من أصحاب القبور»[٣].

وأما ذكر ثلاثين يومًا فللمبالغة في كونه ميتًا. والله أعلم.

وقال: من يدّعي العشقَ، ولم يجعل روحَهُ مكنسةً على باب المعشوق، فهو كاذبٌ في دعواه.

وقال: من له أُنسٌ[٤] بغير الحقِّ فهو ضعيفٌ في حاله، ومن حدّثَ عن غيره فكلامُهُ إلى الكذبِ أقرب.

وقال: من قصدَ مخالفةَ شيخه يضلُّ في الطريق، ولا يبلغُ المقصدَ، وتنقطعُ العلاقةُ بينهما وإن كانا في بقعةٍ واحدة.

وقال: من اختار صحبةَ شيخٍ، ثم اعترضَ بقلبه عليه فقد نقضَ العهد،

---

(١) في (ب): منها ما قال.

(٢) قال العجلوني في كشف الخفا ٢/ ٤٠٢ (٢٦٦٩): قال الحافظ ابن حجر: هو غير ثابت، وقال القاري: هو من كلام الصوفية، والمعنى: موتوا اختيارًا بترك الشهوات قبل أن تموتوا اضطرارًا بالموت الحقيقي.

(٣) رواه البخاري (٦٤١٦) في الرقاق، باب قول النبي ﷺ: «كن في الدنيا...» والترمذي (٢٣٣٤) عن عبد الله بن عمر. قال الطيبي: ليس «أو» للشكِّ؛ بل للتخيير والإباحة، والأحسن أن تكون بمعنى (بل) فشبّه الناسك السالك بالغريب الذي ليس له مسكن يؤويه، ولا مسكن يسكنه، ثم ترقّى وأضرب عنه إلى عابر السبيل القاصد لبلدٍ شاسع، وبينهما أودية مردية، ومفاوز مهلكة، وقطاع طريق، فإنَّ من شأنه ألاّ يقوم لحظة، ولا يسكن لمحة.
أقول: وقوله ﷺ لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما ليس في (ب).

(٤) في (أ): من آنس بغير الله.

ويجبُ عليه التوبةُ، وإن قيل: عقوقُ الشيخ لا توبةَ له.

وقال: سوءُ الأدب يوجبُ الطرد.

وقال: من أساءَ الأدبَ على البساط رُدَّ إلى الباب، ومن أساء الأدبَ على الباب رُدَّ إلى سياسة الدواب.

وقال: إساءةُ الأدب مع السلطان جهلٌ يؤدّي إلى القتل.

وقال: من لم يَقمْ على باب الخدمة في البداية، كيف يجلسُ على بساط القُربة في النهاية؟.

وقال: من قامَ بالمجاهدة جلسَ بالمشاهدة.

وقال: السرورُ في الطلب أَقوى من سرور الوجدان، لأنَّ الوجدان لا يَصفو عن كدورة الزوال، وفي الطلب رجاءُ الوصال.

وقال: لا بدَّ من المحبّة، إذ قال الله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤] من غير ذكر الطاعة والعبادة، إلاّ أنَّ من بنى أساسَهُ على المحبّة لا يفترُ من عبادة المحبوب لحظة.

وقال: من تركَ خدمةَ ربّه يومًا[1] فمصيبتُهُ أعظمُ من مصيبة الكافر يومَ القيامة في النار؛ لأنَّ الكافر يفوتُهُ الثوابُ غدًا، وذلك قد فاته مشاهدةُ الخدمة نقدًا، فكم بين الفوتين!.

وقال: من تركَ الحرامَ نجا من النار، ومن ترك الشُّبهاتِ وصلَ إلى الجنة، ومن ترك معهما[2] الفضول وصل إلى الله تعالى ـ أي إلى رضا الله تعالى.

وقال: إن أطاعَ العبدُ مولاه جميعَ عمره إلاّ لحظةً، ثم أنزلَهُ اللهُ تعالى في حظائر القدس، فلو كُشف عليه حسرةُ فتورِهِ في تلك اللحظة، لانقلبَ له نعيمُ الجنة عذابًا أليمًا.

---

(١) في (ب): خدمة ربه اليوم.

(٢) في (أ): ومن ترك معها.

أقول: ولكن بعد دخول الجنةِ لا يُكشفُ له عن شيءٍ من خطاياه؛ بل يُنسيه اللهُ تعالى بلطفه جرائمه حينئذٍ؛ لئلا يُنغِّصَ عليه نعيمَ الجنة إذا ذكرها. سبحانه ما أعظم قدرته، وما أكثر لطفه ورحمته. والله أعلم.

وقال: إنْ عاقبَ الله تعالى فيكون إظهارًا للقدرة، وإن عفاه فيكون إظهارًا للرحمة.

وقال: ليس بغريبٍ ولا بعجيب ما باع يوسف عليه السلام إخوتُهُ، ولكن أعجبُ كلِّ عجيبٍ أن يبيعَ مدبرٌ آخرتَهُ بدنياه.

وقال: لا ينبغي لمن سمع قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ . . .﴾ الآية [آل عمران: ١٦٩] أن يبخلَ بروحه.

وقال: إنَّ الله تعالى قد باعَ منكم الجنَّةَ، فأنتم لا تَبيعوها من غيركم؛ فإنَّ هذا البيعَ فاسدٌ، وإن فرضنا صحَّتَهُ فلا تربحون[1].

وقال: للناس ثلاثُ مراتب: السؤال، والدعاء، والثناء. فالسؤالُ: لطلب الدنيا، والدعاءُ: لطلب العقبى، والثناء: لطلب المولى جلَّ جلاله.

وقال: السماحةُ على ثلاثة أقسام: السخاوة، والجود، والإيثار. فالسخاوةُ: اختيارُ الحقِّ على النفس، والجودُ: اختيارُه على القلب، والإيثارُ: اختياره على الروح.

وقال: من سكتَ عن الحقِّ، فهو شيطانٌ أخرس.

وقال: إيّاكم وصحبةَ السلاطين؛ فإنَّ لهم رأيًا مثلُ رأي الصبيان، وصولةً مثل صولة الذئبان.

قال: من خواصِّ السلاطين أنَّه لا صبرَ منهم، ولا طاقة معهم.

وقال: معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٦] استغاثةٌ عن الفراق.

---

(١) في (أ): فلا ترجون.

وقال: تواضعُ الأغنياءِ للفقراء ديانةٌ، وتواضعُ الفقراءِ للأغنياء خيانةٌ.

وقال: ورد في الحديث «أنَّ الملائكةَ تضعُ أجنحتها لطالبِ العلم»[١] إذا كان هذا حالَ طالب العلم[٢]، فكيفَ يكون حالُ من هو طالبٌ للمعلوم.

وقال: إذا كان طلبُ العلم فريضةً، فطلبُ المعلوم أَفرض.

وقال: المريدُ من لا ينامُ في عمره ساعةً، وما نام[٣] النبيُّ ﷺ بعدما رجع من المعراج؛ لأنه ﷺ صارَ فؤادًا كلّه، ولمّا قالَ إبراهيمُ عليه السلام لابنه: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ﴾ [الصافات: ١٠٢] قال ابنُهُ: يا أبت، لو لم تنمْ لما رأيتَ هذا في المنام.

نقل أنه في آخر عمرِه غلبَ عليه الحزنُ والفكر، وصارَ بحيثُ ما كان أحدٌ يفهم معنى كلامِهِ إلاّ قليلاً، ولذا خلا مجلسُهُ عن الناس، حتى قال عبدُ الله الأنصاري: حين صارَ أبو علي الدقاق عاليًا، لا جرمَ أنّه صارَ مجلسُه عن الخلقِ خاليًا.

نقل أنه كان في ابتداءِ أمره غريقًا في بحار الحزن والخوف، حتى أنّه كان يقولُ في مناجاته: إلهي، هبني من حسكةٍ، هبني من تبنة، هبني من نملة.

ويقول: إلهي، لا تهتكني ولا تفضحني؛ فإنّي مجازفٌ مدّع، ادّعيتُ كثيرًا على المنابر بين عبادك، فإن أردتَ هتكي ألبتةَ فلا تهتكني[٤] عند جماعةٍ يعرفونني.

إلهي، إن تدخلني النارَ فاتركني ألبسُ مرقّعةَ الصوفية، وبإحدى يديَّ العصا، وبالأخرى الركوة، ثم سيِّبني بهذه الهيئة في وادٍ من أودية جهنم؛ لأنوحَ

---

(١) رواه أبو داود (٣٦٤١) في العلم، باب الحث على طلب العلم، والترمذي (٢٦٨٣) في العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة. عن أبي الدرداء.

(٢) في (ب): إذا كان هذا لطالب العلم حالاً.

(٣) في (ب): عمره ساعة، قيل: وما نام...

(٤) في (ب): فلا تبتكي عند جماعة.

فيها على فراقكم أبد الآبدين؛ فإني أحبُّ هيئةَ الصوفية.

قال: إلهي، إن أدخلتني النارَ، ثم يقولُ الكافرون: ما الفرقُ بيننا وبينكم؟ فإنَّا أشركنا وعبدنا الأصنامَ، وأنت وحَّدْتَ الله وعبدته، والحالُ نحن وأنت في النارِ، فماذا أقولُ لهم؟.

وكان يقول: إلهي، أنا سوَّدتُ صحائفَ أعمالي بالمعاصي، وأنت بيَّضْتَ شعوري في مرور الأيام[١] والليالي، فيا خالقَ الأبيض والأسود، تجاوزْ عن ذلك السواد ببركتك، وهذا البياض بفضلك[٢] وكرمك.

وكان يقول: يا مَنْ لا يراك الطالبُ في أوقات الطلب، ومع هذا يطلبُك دائمًا.

وقال: إلهي، وإنْ أنزلتني الفردوسَ الأعلى فبما ينجبرُ هذا؟![٣] وهو أنّي قدرتُ على أن أكون خيرًا من هذا، وقد توانيت.

أقول: (قدرتُ أن أكون خيرًا مما أنا فيه) معناه: أنه كان قادرًا على ذلك بالنظر إلى حاله وأعماله في الظاهر، وأما بالنظر إلى تقدير الله تعالى في حقِّه فلا يمكنُ التجاوز عن حدِّه المحدود له في الأزل ولو بشعرةٍ، والحقُّ أنَّ هذا الكلام غامضٌ ينحلُّ به إشكالٌ كثير عند من ﴿كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧] **والله أعلم.**

نقل عن بعض الصالحين أنه رأى الأستاذ أبا عليٍّ رحمه الله في المنام فقال: أخبرني عمّا لقيتَ. قال: إن الله تعالى أَقامني، وأوقفني، وسأل عن ذنوبي ذنبًا ذنبًا، فأيُّ ذنبٍ اعترفتُ به غفر لي إلاّ ذنبًا واحدًا؛ فإنّي استحييتُ أن أذكرَهُ، وعرقتُ واقفًا حتى سقط اللحمُ عن وجهي. قال الراوي: قلتُ: وما ذاك

---

(١) في (أ): في أمور الأيام.

(٢) في (أ): السواد ببركة هذا البياض بفضلك.

(٣) في (أ): الأعلى فيما يتخيّر هذا.

الذنبُ؟ قال: في أيام الجهلِ نظرتُ إلى أمردَ، وأعجبني حسنُهُ[١].

نقل أنه رآه آخرُ في المنام يبكي ويضطرب، فقال: تريدُ الرجوعَ إلى الدنيا؟ قال: نعم، ولكن لا لمحبّةِ الدنيا؛ بل لأَنْ أشدَّ وسطي، وآخذَ بيدي عكازةً، وأدورُ على الناس وأنصحهم وأدعوهم إلى الحقِّ؛ فإنّهم غفلةٌ لا يَدرون ماذا تركوا، وعمّاذا غفلوا.

أقول: هذا يدلُّ على أنه قد اطّلعَ على حقيقة الحال، وأنه في غاية الشفقة على خلقِ الله تعالى، وفي الحقيقةِ الشفقةُ على الخلق أيضًا تعظيمٌ لأمر الله، لأنّه تعالى لا يرحمُ من عباده إلاّ الرحماء، قال ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»[٢] قيل: وهذا أولُ حديثٍ سُمع[٣] منه ﷺ. والله أعلم.

نقل عن آخر أنّه رآه في المنام، فقال: ما فعل الله بك؟ قال: عدَّ عليَّ ذنوبي وخطيئاتي ذرّةً ذرة، ثم عفا عنّا جبلاً جبلاً.

ورآه آخرُ في المنام كأنّه يمرُّ على الصراط، وقد صارَ عرضُ الصراط مسافةَ خمس مئة سنة، فقال: يا عجبًا، كنّا نسمعُ أنَّ الصراطَ أدقُّ من الشعرة، وأراه الآن بهذا العرض! قال الأستاذ: الحالُ كما سمعت، ولكنّه يتَّسعُ لمن سلك في الدنيا أضيقَ الطريق وأدقَّه، ويتضيَّقُ لمن سلك فيها طريقًا واسعًا.

نقل عن أبي بكر الصيرفيِّ وهو أحدُ تلاميذ الأستاذ، أنه كان يُواظبُ زيارةَ

---

(١) هذه الرؤيا وردت في الرسالة القشيرية ٥٣٤ (رؤيا القوم) عن أبي عبيد الله الزرّاد.

(٢) رواه أحمد في المسند ٢/ ١٦٠، والترمذي (١٩٢٥) في البر والصلة، باب في رحمة الناس، وأبو داود (٤٩٤١) في الأدب، باب في الرحمة، والحاكم ٤/ ١٥٩، والبيهقي في سننه ٩/ ٤١، وهو حديث صحيح بشواهده، انظر مجمع الزوائد ٨/ ١٨٧.

(٣) هذا الحديث «الراحمون يرحمهم...» حديث مسلسل بالأولية، والتسلسل من نعوت الأسانيد، وهو عبارة عن تتابع رجال الإسناد وتواردهم فيه واحدًا بعد واحد على صفةٍ أو حالةٍ واحدة، والمسلسل بالأولية نوع من أنواع التسلسل، وفيه يتتابع رجال إسناده ويتواردون بشرط أن يكون أول حديث سمعه رجال السند من شيخ معين من شيوخهم.

قبر الأستاذ كلَّ جمعةٍ بعد صلاةِ الجمعة إلى سنةٍ، قال: كنتُ عند القبرِ يومًا إذ نعستُ، فرأيتُ كأنَّ القبر انشقَّ، وطلعَ الأستاذُ، ويُريدُ أن يطيرَ، قلت: إلى أين؟ قال رحمه الله: إلى عالمِ الملكوت؛ إذ نصبوا لي هناك منابر. وطار.

ونقل عن أبي بكر الصيرفي أيضًا أنه قال: توفي القاضي أبو عمر رحمه الله، وكان من أقرانِ الأستاذ أبي علي رحمه الله، رأيتُ في المنام كأنّي أُريد أن أذهبَ إلى مجلسِ الأستاذ في عالمِ الملكوت، فكأنَّ قائلاً يقول: لا تذهب؛ لأنّه ليس اليومَ مجلسٌ. قلت: لم؟ قال: لأجل وفاة القاضي أبو عمر؛ فإنّه مات اليوم.

ونقل الشيخُ الإمام أبو القاسم القُشيري صاحب «الرسالة الصوفية» رحمه الله أنه جاء إليه شابٌّ يبكي، فسأله عن بُكائه، قال: رأيتُ البارحةَ في المنام كأنَّ القيامة قد قامت، وأُمِر بي إلى النار، وأنا أقول: لا تُنزلوني في النار؛ فإنّي حضرتُ مجلسَ أبي علي الدقاق. فقالوا: أحضرتَ مجلسه؟ قلت: نعم. قالوا: فأدخلوه الجنة إذن[1].

نسأل الله تعالى أن يفيضَ عليه من زُلال كرمه، وسلسالِ نعمه، ونستشفعُ إلى كريم حضرته بنبيِّه سيّدِ الأوَّلين والآخرين محمدٍ ﷺ، وبجميع الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين، وبجميعِ الأولياء والصدّيقين، والشهداء والصالحين رضوان الله عليهم أجمعين أن يمنَّ علينا وعلى إخواننا في الدِّين بدوامِ نعمته في الدنيا والآخرة، وأن يحفظَ إيماننَا من سخطه وغضبه، وعن شرِّ الشيطان وكيده، وأن ينظرَ إلينا نظرَ الرحمة، ويُعافينا من بلاءِ الدنيا وعذاب الآخرة، وأن يرزقنا عملاً يرضى به، ورزقًا نستغني به عن الطلب، إنه كريمٌ رحيم، عفوٌّ حليم، وأن يُصلّي على خيرِ خلقه محمدٍ وآله وصحبه أجمعين، ويُسلّم تسليمًا كثيرًا كثيرا.

* * *

(١) لم أجده في المطبوع من الرسالة.